الإستراتيجية الحجاجية لبلاغة الصمت

قراءة في حجاجية الحذف في القرآن الكريم

الدكتور: زروقي عبد القادر

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

إنها الشجاعة المركبة: شجاعة العربية كما قال بها ابن جني، ومن قبلها شجاعة الأسلوب القرآني وتميزه في صياغة أساليب فوق ما تتميز به الأساليب البشرية في اللغة العربية، فقد رفع القرآن الكريم سقف الكتابة في بُعدها الفني الذي تتحاكم إليه النصوص، مما أوجب علينا النظر في خصائص الأسلوب القرآني وإلى أي مدى يمكن استثماره في التفكير النقدي العربي. فكان هذا البحث الذي يتناول "بلاغة الصمت" ممثلة في أسلوب الحذف وما يحيط به من شروط ومزايا، نظراً لما نشأ حوله من تجاذبات للحقول المعرفية قصد تأطيرها (إعجازياً، نحوياً، بيانياً "بلاغياً" وفي الأخير نقدياً)، مما يفرض مشروعية السؤال في هذا البحث على أرضية حقل النقد الأدبي خصوصاً. كيف يمكن للحذف باعتباره مجال البحث أن يحقق التواصل النظري والتطبيقي على السواء بين لغة القرآن الكريم واهتمامات النقد الأدبي المعاصر؟.

Résumé : C'est le courage composé: Courage d'arabe, a déclaré Ibn Jinni, et avant Courage du style coranique; qui Défait l'usage humain en langue arabe. Le coran a élevé le niveau de l écriture, auquel s'évalue les textes, ce qui nous enjoint d'examiner les caractéristiques du style coranique, et la mesure dans laquelle peuvent être investis dans la pensée critique arabe. Cette recherche s'adresse à l'éloquence du silence, représenté dans la méthode de suppression, et les conditions et les avantages environnantes, en raison des interactions des champs cognitifs, afin de les encadrées (grammaticalement, rhétoriquement, critiquement). Il est impératif de remettre en question la légalité de cette recherche sur le champ de la critique littéraire, en particulier. Comment la méthode de suppression, comme un domaine de recherche, peut réaliser la communication théorique et pratique, à la fois entre la langue du Coran et les préoccupations de la critique littéraire contemporaine ?

أسلوب الحذف المُمَكِّن لبلاغة الصمت في القرآن الكريم هو أشرف الكلام؛ لأنه يأتي مع البيان، انطلاقا من أنّ الغرض الجوهري للنص يكون بباطنه لا بظاهره، وأنّ كل معلوم هيّنٌ نتيجة إظهاره وحصره كما يرى بلاغيونا[1]، لذا ستتيح لنا بلاغة الصمت الكامنة في الخطاب القرآني تلمس

الفاعلية الذهنية التي وفرها هذا الخطاب لمتلقيه عبر سائر الأزمان، كما أنّ انفتاحه هذا جعله نصّا غير منجز مغلق عن الفهم المتجدد؛ بل هو نصّ منفتح على التأويل باستمرار.

بذا يكون الناظر في الخطاب القرآني مدركاً زخم القول في تبيان خصائص الأسلوب الأدبي للنص القرآني، وعلى رأس القضايا التي شكلت هذا الزخم الحديثُ عن خاصية **"بلاغة الصمت"** المتمثلة في الإيجاز والإضمار والحذف وما يحيط بها من شروط ومزايا. ذلك لأنه يمكن لهذه الظواهر الأسلوبية أن تكون مُخلّة بالتعبير وغير مصيبة للمعنى إذا أُسيئ توظيفها، بعدما كان ذاك ما يميزها في الأسلوب القرآني. على هذا الاعتبار استوقفنا البحثُ في الحذف دون غيره من الظواهر، نظراً لما يمثله عند أهل البيان، "فهو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدُك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ"[2]. فالصمت هنا هو فعل إراديّ واع من المتكلم غير مرتبط بالجهاز الصوتي، ولا عجز عن التفكير، ولا شح في القاموس اللغوي، وإنما هو بديل عن الكلام متخلل له، إذ يكون في الكلام ذاته دليل عليه، وعندئذ يكون الصمت[3] كأتمّ ما يكون البيان.

الحذف والتأسيس لقوانين تفسير الخطاب

إن الحذف المقصود بالبحث هو غير الإيجاز، وإن كان هذا الأخير لا يقل عن الحذف أهمية غير أنه لا يمتهن الإسقاط الكلي للفظ وإنما يقف عند "حذف زيادات الألفاظ، وهذا نوعٌ من الكلام [هو الآخر] شريف، لا يتعلقّ به إلا فرسان البلاغة، من سبق إلى غايتها وَمَا صَلَّى، وضرب أعلى درجاتها بالقِدْح المعلى، وذلك لعلُوِّ مكانِه وتعذر إمكانِه"[4] الإيجاز هنا يشمل الحذف كونه ينشطر إلى الإيجاز بالحذف، والإيجاز بالقصر.

هذا الأخير تقليل الكلام انطلاقاً من التتالي الكمي أو العددي للملفوظات واستبدال الأكبر بالأصغر عدداً، لا الاستبدال الصفري أي وجود اللفظ من عدمه وهو محل البحث، ويضرب لنا صاحب النكت مثالاً لهذه الظاهرة الأسلوبية ـ إيجاز القصر ـ بقوله إنك لا توجز حين تقول "تحرك حركة سريعة" عوض قولك "أســرع" وعليه فالمعنى "يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة ويمكن أن يعبّر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز"[5]. وقد تأصّلت هذه القاعدة البيانية عند أهل البيان

على خلفية قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ (**البقرة**:179) فما تميزت به الآية خاصة في جزئيتها "القصاص حياة" من إيجاز مقارنه مع أوجز عبارة قالتها العرب في المعنى ذاته "القتل أنفى للقتل" يجعل هذه الظاهرة الأسلوبية محل إعجاز في القرآن الكريم. من هنا قال ابن المقفع "الإيجاز هو البلاغة"[6]. وذلك أنّ الموجز في كلامه إنما يقتصد في أدائه (قلة الألفاظ) مع تكثيف معانيه. إلا أننا في الحذف نسقط "كلمة للاجتزاء عنها، بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام"[7]، أو نسقط "جزء الكلام أو كله لدليل"[8] مما يجعل للكلام وجهين: ظاهر/ مصرح به، وباطن/ مسكوت عنه، شريطة أن يتوافر رابط بين التركيب والسياق ضرورة فلا يمكن تجاوزه.

إذاً الحذف هو إسقاط أحد مكونات التركيب من الصياغة بالكلية ـ وليس على حساب عدد الحروف ـ بشرط أن يتضمن التركيب قرينة تقود المتلقي إلى تحديد ما حذف، بفضل ما يوفره السياق من دلائل على ذلك، وهذا ما يعني أن المحذوف وإن "أُسقط لفظه فإن معناه باق وينتظمه المقدّر"[9]. وعندئذ يكون الحذف أبلغ دلالة وأدل إبلاغاً، فهو يستغني عن الفضول ويقرب المعاني، ألم ترَ أن "الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب، أخرج الكلام مُخْرَج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم، جعله مسبوطاً، وزاد في الكلام"[10]، لذلك لم تلجأ العرب للحذف في كلامها إلا لأنها على ثقة بفهم أصحابهم عنهم[11].

لم تجرّد دراسة أسلوب الحذف ـ شأنه في ذلك كباقي الخصائص الأسلوبية ـ عن الأسلوب القرآني أثناء صياغة القوانين التي تضبطه، إذ من الأحكام النقدية التي تعلقت بوقوع الحذف من عدمه والتي اتخذت الأسلوب القرآني قاعدة ـ بلاغية ولغوية ـ لها قوله تعالى "ولو شاء الله لجَمَعهم على الهدى"(**الأنعام**:35) وهي آية بها حَذف تقديره "ولو شاء الله أن يجمَعهم على الهدى لجمعهم" فكان البناء عليها حيث المزية البلاغية تقتضي أن يجاء بالمفعول المتعلق بالمشيئة أمراً عظيماً أو بديعاً أو غريباً، فوجب ذكره وساء حذفه، وهو على عكس قول الشاعر[12]:

ولو شئت أن أَبْكِي دماً لبكيْتُه عَلَيْه، ولكن ساحة الصبر أَوْسَعُ

يعلق الرازي على الظاهرة بقوله "لما كانت مشيئة الإنسان لأن يبكيَ دماً، أمراً عظيماً عجيباً، كان الأَوْلَى التصريح به"[13].

يتأرجح هذا التحليل بين حقلين معرفيين لطالما تباعدا وهما البلاغة والنحو، ومردّ ذلك جلاء المفارقة ووضوحها بين المعيار النحوي وصرامته وبين الخرق البلاغي وتجوّزه، ومما يعزّز ذلك ما نستحضره هنا من بعض المقولات المعاصرة في المجال اللساني لعلها تساندنا في الدفع عن الحذف ما ليس منه، حيث "إذا كانت الدلالة مرتبطة بالجملة فإن القول لا ترتبط به الدلالة بل يرتبط به المعنى"[14]، وعليه فنحن أمام إلحاق الحذف إما بالنحو أو بالبلاغة على اعتبار نظرية الإسناد أو نظرية المعنى؛ لأن "الحذف الذي يلزم النحوي النظر فيه هو ما اقتضته الصناعة، وذلك كأن يجد خبراً بدون مبتدأ أو بالعكس أو شرطاً بدون جزاء أو بالعكس أو معطوفاً بدون معطوف عليه أو بالعكس أو معمولاً بدون عامل. وأما قولهم "سرابيل تقيكم الحر" على كون التقدير والبرد فضول في علم النحو وإنما ذلك للمفسر وكذا قولهم يحذف الفاعل لعظمته أو حقارته ونحو ذلك فإنه تطفل منهم على صناعة البيان"[15].

فصناعة البيان(بلاغة، نقد) لا علاقة لها بقضية الإسناد ولا نظرية العامل من حيث المعيار والحركة الإعرابية، وإنما تختص بالنظر في الحذف على أساس المعاني لا الألفاظ، وإن كانت مراعاة هذه الأخيرة واجبة إلا أن اختصاصها الآكد بالحذف في المعاني[16]، وما يقابل ذلك في مقولات نقدنا المعاصر المطالبة بأن يكون "موضوع اللسانيات هو الواقع اللغوي، في حين أن موضوع التداولية التأويل التام للأقوال"[17]؛ واللسانيات لا رأي لها في تأويل الأقوال، وبذا يكون الحذف أحد شروط الفصاحة والبلاغة؛ لأن من شروطها "الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام، حتى يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة"[18]، ولذلك كان الاستحسان لأسلوب القرآن الكريم لأنه قائم بهذه الصفة، وهو ما أدركه ابن جني من قبل حيث ربط الحذف بنمط الاستخدام البلاغي الخاص به في اللغة الأدبية(الشعرية)، "ولأجل ذلك كان يذيل حديثه عن حذف أجزاء الكلام بالعبارات الآتية: "ونظائره كثيرة في القرآن وفصيح الكلام" أو "وأكثر ذلك في الشعر" فهذه العبارات دالة على وعيه بالصفة الشعرية لظاهرة الحذف"[19] وهو ما أقدمه على عقد باب "شجاعة العربية"[20] التي ترتكز على الحذف وما يلف لفيفه من زيادة وتقديم وتأخير وتحريف.

وعود على مبدأ " إجاعة اللفظ وإشباع المعنى" الذي قال به ابن رشيق يمكننا الإقرار بمفهوم "القوانين الكلية للبلاغة" نظراً لما يمكن أن تنطوي تحت ظاهرة الحذف ـ مثلاً ـ من مفاهيم متعددة كالسكوت والإشارة والاحتجاج والاتساع والإيجاز وغير ذلك، حتى غدت هذه المفاهيم هي البلاغة بعينها وفق ما ذهب إليه ابن المقفع[21]، أو ما فعله الرماني حين ثمَّن حقيقة دور الإيجاز وجعله أول الأقسام العشرة للبلاغة[22]، على خلفية قول علي رضي الله عنه "ما رأيت بليغاً قط إلا وله في القول إيجاز، وفي المعاني إطالة"[23]. هكذا يكون الحذف ظاهرة لغوية بلاغية، إلا أننا في هذا المقام لا نلقي بالاً للدرس اللغوي(النحوي) إلا بالقدر الذي يخدم الدرس البلاغي؛ لأننا نعوّل على الوقوف على ظاهرة الحذف من زاوية المعنى لا من زاوية المبنى(اللفظ)، فالنظر إليها من الزاوية الثانية مجاله النحو المحتدّ بمعيار الوضع وصرامة الحركة الإعرابية ومتطلبات العامل والمعمول، في حين يطرح البيان من التعددية لمسالك المعنى ما لا نهاية له، باعتباره السيد في عملية التواصل، وإذ ذاك يحضر المتلقي في العملية التواصلية حضوراً متميزاً قائماً على التفاعل، فيجتهد متأولاً للوصول إلى المعنى والقبض على المزية.

خصائص الحذف ومقوماته الجمالية:

إذا كان الحذف أبلغ من الذكر، نظراً لما لديه من قدرة لا تنكر في خلق تعددية للمعنى، وهو ما لا يتحقق في الحالة الثانية ـ أي الذكر ـ ، فإن للحذف كذلك قدرة أخرى ـ لا تقل عن الأولى في القوة ـ على التأثير في المتلقي، ولذا فهو ـ أي الحذف ـ "مُقَدَّمٌ على الإتيان لتأخر وجود الحادث عن عدمه"[24]، فالمحذوف إنما يتقدم الذي يدل عليه ويفضي إلى استنباطه من السياق، وإن كان الإفصاح يفضي إلى المعنى ذاته، إلا أن المتكلم يقصي المتلقي من التفاعل مع خطابه بعد أن يكشف معناه، وعندئذ ينغلق النص بالإفصاح عن معناه ولا يستدعي تأولاً على خلاف موقع الحذف حيث يكون حضور المتلقي بتأوّله، وهو ما يجعل الحذف أبلغ من الذكر.

إننا نسير هنا على خلاف ما يقتضيه العقل وتستقر إليه النفس، إنه من عجيب المفارقات حين يكون إخفاء الشيء سبباً في إجلائه وإظهاره، ولشدة غرابة الحذف، أنه "شبيه بالسحر، وذاك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصحَ من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا

لم تنطق، وأتمّ ما تكون مُبيناً إذا لم تُبيّن"[25]، لذلك رأينا الزملكاني يحذر من القول أن الحذف مخل بفائدة المحذوف راداً ذلك إلى غفلة عما يحمله الحذف من مزايا[26]. وعلى خلفية هذا التقديم للحذف على الذكر اجتهد علماء البيان في تلمس الفوائد والمزايا التي يحققها الحذف والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

1ـ الاختصار وإيجاز الكلام، يقول جعفر بن يحي البرمكي حاثاً كتابه على الإيجاز "إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا"[27] كما يأتي بيت البحتري لدعم هذا المذهب حيث يقول:

والشّعرُ لَمحٌ تَكفي إشَارَتُهُ   وَلَيسَ بالهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُهْ

2ـ الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر[28]، ففي الإخفاء بلاغة في المعنى والضبط بفعل السياق على عكس الظاهر الصريح الذي لا ستر دونه[29]، إذ أن المخفي يحمل طاقة إيحائية تقوم مقام الأداة الإجرائية التي تثري المعنى.

3ـ إثارة المخاطب ودعوته إلى التفكر في الخطاب لمعرفة الجزء المحذوف، ومن ثم الوصول إلى المعنى، وعندئذ تكون "زيادة اللذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر، كان الالتذاذ به أشدّ وأحسن"[30]

4ـ تحقيق كثير من الغايات المعنوية في نفسية المتلقي، ترغيب، إعظام، تفخيم، إبهام فـ "رُبَّ صمت أفصح من الكلام، ورمز آلم من لدغ الحسام"[31]، نظراً لما في الإبهام والإيهام من التفخيم والإعظام، فالنفس مع الكلام المحذوف "تتسع في المعاني والصور المحتملة التي يمكن حمل الكلام عليها، أو يوحي بها، في حين لا تجد النفس ذلك فيما لو زال الإبهام والإجمال"[32].

5ـ إثراء المعنى وفتح مجال توقع المخاطب، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل للهِ الأَمْرُ جَمِيعًا﴾ (**الرعد**:31) حُذِف في الآية جواب الشرط وتقديره(لكان هذا القرآن) أو(لما آمنو به) كما ذهب إلى ذلك ابن هشام ودليله في ذلك قوله تعالى المقدم على الآية "وهم يكفرون بالرحمن" فكان الحذف وفق تقدير الخطاب "الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب في الحذف كل مذهب، ولو ذكر الجوابُ لكان مقصوراً على الوجه الذي تناوله الذكر"[33].

وقد يضاف إلى هذه المزايا فوائد أُخَر، كالتخفيف بالحذف لكثرة ورود المحذوف في الكلام مثل حذف حرف النداء، أو التنبيه على ضيق الوقت كما في التحذير والإغراء، أو غير ذلك مما لا يمكن حصره في هذا المقام، وإن كان ما يميز هذه المزايا جميعها هو إقامة تلك العلاقة التواصلية بفعل الحذف بين المتكلم والمتلقي على أساس التفاعل الذي يؤسس إلى إعمال الفكر والنظر والتأويل، وهو المسلك الدقيق الذي يجعل المتكلم في أشد الحرص حاجة إلى العلم بالمواضع التي يصلح فيها الحذف من المواضع التي لا يصلح؛ لأنه ما من اسم يحذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذْفه أحسن من ذكره[34]، فبحذفه يتأكد المعنى ويكون أشد إبانة.

الأسلوب القرآني وقانون الحذف:

إن التنظير للحذف اعتماداً على أسلوب القرآن الكريم هو في جوهره تنظير لمباحث تؤسس لأجرأة فهم الخطاب القرآني خاصة المضامين المسكوت عنها من البارئ سبحانه وتعالى، وتشتد الخصوصية لمّا نضع في تصورنا أن الحذف "هو نهج التنزيل في غرابة نظمه"[35]، ولذلك فإننا لا نشك في أن آلية الحذف قد وُظّفت في القرآن الكريم في أتم صورة وفي أحسن موقع، وما يعزز ذلك هو اختلاف بعض الآيات المتماثلة حيث ذُكِر اللفظ في آية وحُذِف في أخرى، ولكن بالتدبر نجد حتماً ما يبرر الذكر هنا والحذف هناك أو العكس، وهذا ما لا يجعل الحذف "مجرد أسلوب في التعبير، وإنما هو طريقة في التفكير"[36]، لهذا يكون الأسلوب القرآني القائم على الحذف مدعىً لدفع القارئ أو السامع إلى التفكير واستخراج المعنى من خلال سدّ الفراغات التي يجعلها كمحطات فكرية يستجمع المتلقي عندها قواه الذهنية ليثبت وجوده في النص بفضل تأويلات يقترحها، وقد خطط لها النص القرآني سلفاً من خلال تبطنه لها ضمنا بين ثنايا الكلام، وعليه تكون "سياسة البلاغة أشد من البلاغة"[37]، على حد تعبير سهل بن هارون.

إذاً القرآن الكريم إنما "تعاطى مع هذه الأساليب التعبيرية انطلاقاً من المعنى الذي يريد إيصاله"[38]، فهي ضمن إستراتيجية الإعجاز التي تحقق البعد التأثيري لهذا الكتاب الخالد، مما يجعل البحث في النقد الأدبي في حالة ارتباطه ببنية الخطاب القرآني ـ والحال هذه ـ غير منفصل عن البعد التداولي الذي يجعل من النص مجالاً لالتقاء المتكلم والمتلقي. ويمكننا هنا أن نلحظ ما أولاه النقد

المعاصر من أهمية للمسكوت عنه، فغدا الصمت أهم ما في النص أو الأثر الأدبي لا الكلام[39]، فهو يجمع بين الباث والمتلقي في ملء تلك الفراغات خاصة ما يتعلق بهذا الأخير الذي يسعى إلى فك مغالق الرمز والإبحار في فضاء التأويل، وهو ما يجعل المواطن التي حلّ فيها الصمت منفتحة بلا حد لها نظراً لما تتلبّس به من "قوة حجاجية لكل الملفوظات، حيث تتجلى هذه القوة من الضمني إلى الصريح"[40].

وإذا كنّا قد بيّنّا أن البحث البياني العربي القديم قد وقف على ظاهرة الحذف وأعلى من شأنها في صناعة الكتابة إلا أننا نسجل عدم ربطها بالبعد التداولي إلا فيما ندر من بعض أرباب البيان خاصة المتأخرين منهم كالقرطاجني والسجلماسي والمراكشي، ولعل ذلك راجع إلى انعدام التأطير الكلي الذي يضبط درس الحجاج ـ كما هو عليه اليوم في خطابنا النقدي ـ الذي يجعل من كل الأوجه والمباحث البلاغية: من مجاز وحقيقة، وعموم وخصوص، وإطلاق وتقييد، وحذف، وإضمار أو إظهار، آليات حجاجية تستثمر في الخطاب الأدبي.

ولما كان النص القرآني شاملاً لكل هذه الأساليب تميزَ بتعدد النماذج الحجاجية وغدا صرحاً حجاجياً من الناحية البنائية والأسلوبية والبلاغية[41]، خاصة في باب الحذف، حيث تكون معانيه قد أُضمرت، وعندئذ لا ترتبط حصراً بما يفيده ظاهر اللفظ فيه، ليكون هذا الخطاب الحجاجي المشكّل بفعل الحذف غير متوافر على الصناعة المنطقية، وإنما هو خطاب طبيعي، يكون فيه المظهر الحجاجي في غالبيته مخبوءاً على نحو مضمر[42]؛ فضلاً على أنّ أسلوب الجدل في القرآن الكريم لا يخضع إلى ذلك النظام المنطقي الجاف الذي يُبنى فيه الكلام على تراتبية المقدمات ذات النظام الخاص، ثم تُتّبع بنتائج. هذا ليس من دأب الأسلوب القرآني؛ لأنه كتاب لم ينزل لدعوة طائفة بعينها نظراً لثقافتها المتميزة[43]. من هنا كان تميز الأسلوب القرآني حتى في خاصية الحجاج، إذ بدا في القرآن على أنه حجاج خاص به دون غيره من سائر الخطابات[44].

إنَّ حجاج القرآن الكريم بديل عن العنف في شأن الإيمان، حيث يتخذ اللغة ـ في بعدها التواصلي ـ كآلية له، نظراً لما يمكن أن يخلّفه هذا الاستخدام الحجاجي من إقناع وإمتاع فيها من دون منطقتها؛ لأن "مقاسمة الآخر قناعته الخاصة يمكن أن تحصل بواسطة وسائل أخرى غير وسائل

البرهنة"[45]. فهي إذاً دعوة إلى التفكير فيما نتواصل به مع الآخر بواسطة وسيلة الحجاج الذي أصبح اليوم مجالاً "لخطابة جديدة تهتم بالبحث في وسائله، وهي غير تلك التي تتعلق بالمنطق الصوري والتي تتيح لنا استقطاب الآخر وتحفيزه على تبني الأطروحات التي نعرضها عليه"[46]. ذاك يعني أن الحذف يتم عادة في عناصر تعبيرية لا يمكن للعقل أن يستغني عنها، وعند حذفها فإن المتلقي يقدرها، وهو ما يدفع به لإعمال فكره حتى يبلغ الغاية التي أنيط بها التعبير، وهي في الوقت ذاته تمثل غايته التي يصبو إليها.

لكن كيف يمكن استثمار هذه العناصر التعبيرية في السياق الحجاجي بأسلوب الحذف حتى يتمكن المتكلم من إقامة علاقة تواصلية بينه وبين المتلقي بداية ثم يتم بعد ذلك استدراجه على أساسها؟.

إستراتيجية الحذف من التواصل إلى الاستدراج

في البداية ينبغي التركيز على ذلك التجاذب الذي ينشأ بين اللفظ والعقل لدى المتلقي، فلمّا يعتمد المتكلم أسلوب الحذف كآلية للتواصل يكون في الترك "تعويل على شهادة العقل، وفي التركيز تعويل على شهادة اللفظ من حيث الظاهر، وكم بين الشهادتين"[47] من مفارقة، فالعقل والفكر يحضران في غياب التعبير باللفظ الصريح، إذ يتم الوصول إلى الفعل بفعل الفهم والترويض الذهني، وعلى النقيض لمّا يظهر اللفظ ويُصرّح به فيصبح هو السيد الذي يلزم المتلقي بتعطيل البحث عن المعنى لأنه قد جاءه سافراً بظاهر القول، وعندئذ فمحال أن نُسوِّي بين الدلالتين.

إنّ دلالة العقل أقوى وأمكن في الإدراك والفهم والاستيعاب من دلالة اللفظ، وهذا مكمن تداولية الخطاب حيث تكون "دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني"[48]، وهو ما أشرنا إليه من قبل في اعتبار الحذف مبحثاً بلاغياً أكثر منه نحوياً؛ لأنه يسفر عن عملية التأويل التي يخوض المتلقي غمارها دون التوقف عند صرامة المعيار النحوي، وإن كان لا يمكن لعملية التأول أن تأخذ مجراها المنطقي إلا في سياق التوأمة بين الاستعمال اللغوي بطريقة ما مغايرة للمعيار النحوي، وإحضار العقل لترقيع الخرق الذي أحدثه هذا الاستعمال التجوزي، فلا يفهم النص في بعده التداولي ولا يفتح باب تأوله إلا بقدر ما يمكِّنه المتكلم من ذلك، ويضيق هذا المجال ويتسع استجابة

لمقصدية الخطاب ومن ورائه صاحبه على اعتبار أن لمقصدية الكتاب الدور الأساسي في توجيه معنى الخطاب ودلالته.

لكن قد يجرنا الحديث إلى الطرف الغائب/ الحاضر في صنع معنى النص وضرورة إشراكه في ذلك، حيث "إذا لم يكن المستمع أحرص على الاستماع من القائل على القول، لم يبلغ القائل في منطقه وكان النقصان الداخل على قوله بقدر الخلة بالاستماع منه"[49]، فالحرص على الاستماع من لدن المتلقي هو مؤشر لضمان نجاح عملية التواصل، وهنا تأتي كفاءة المتكلم على استدراج المتلقي وتعبئته حتى تحصل الاستجابة وتنشأ لديه قابلية التلقي ومن ثم الحرص، ولا أشد من الوسائل التي تحقق هذه الغاية التي يتطلع إليها الكاتب من وسيلة الحذف فهي أكثر الآليات الأسلوبية تحسينا للمعنى وأشدها استفزازاً لسامعها، حيث "يسهم أسلوب الحذف في بناء الأبعاد الدلالية للكلام المحذوف، فالشاعر [المتكلم] لا يحذف ليخفف من طول الكلام ولعاً بالإيجاز فحسب، وإنما يحذف لإبلاغ المعنى"[50]، فالمبدأ العام الذي يقوم عليه إدراج الحذف هو العمل على تشكيل المعنى تشكيلاً ثنائياً بين المتكلم والمتلقي ولأجل ذلك يحذف المتكلم شطراً من اللفظ ليستفز المتلقي بصفة مبدئية/ نظرية، وغرضه في ذلك أن يبحث عن بديل للألفاظ "المحذوفة" إما بالقوة وإما بالفعل، إما بصفة حقيقية وإما بصفة مجازية، وعندئذ يُشترط في المتلقي أن يكون حريصاً على التلقي(الاستماع) اعتماداً على أمرين[51]:

1 – سياق المقال.

2 – ثقافته وما تتيحه له من قدرات في فهم الخطاب.

إنَّ أي انعدام لأيٍّ من الدعامتين يخلخل الإدراك بمعنى الخطاب، بل إن ذخيرة المتلقي القرائية "مفروض فيها الاتساع لتشمل القيم والمعايير الاجتماعية والتاريخية المحدِّدة لسياق التراكيب"[52]، وفي حال الضيق والشح في هذه الذخيرة، واستقرار الجهل بدل المعرفة بهذه الأطر سيُقدح في عمليه التوافق بين فعل القراءة ومقصدية النص، وعندئذ يصاب التفاعل بين الباث والمتلقي بالشلل والقصور. لذا يُشترط في "القرينة المقامية" أن تكون من المعارف السابقة والأعراف، وما الحضور العقلي والاقتضاء[*] إلا ما يُعرَف بالسياق[**]، الذي يشكّل المرجعية

المشتركة التي يعود إليها كل من الباث والمتلقي لينطلقا منها مرة أخرى مسلحين بما يكفل لهما التعامل مع شفرات النص، فالمتلقي الذي لا يعرف قولهم "نؤوم الضحى" لن يصل إلى المقصود من هذا القول[53]، وهو ما يفسد عملية التواصل، ويحرم المتكلم من حرص المتلقي على الاستقبال.

إن استعمال اللغة "ليس محايداً"[54] خاصة الخطابات التي تعتمد الحذف إستراتيجية لها؛ لأن مقصدية المتكلم فيها لا تنفصل عن "الاحتيال في تحريك النفس لمقتضى الكلام بإيقاعه منها محل القبول"[55]، فالاحتيال هنا لا يعني تمرير حقائق مغايرة للواقع، كما أنّه لا يفرض على الخطابات أن تتجاوز مقصديتها ولا أن تتخلى عن معناها الذي بنيت لأجله، وإنما هو إشغال المتلقي بالمعنى بعد أن يعمل الاحتيال في دفعه إلى الحرص على التلقي ونفسه تواقة إلى الخطاب متشوفة إلى معرفة المعنى المعمّى فيه والمُخفى عن قصد من المتكلم.

هكذا تتمثل طاقة الحذف الحجاجية في كون المتكلم "يسقط الحجة **L'argument** من حديثه ليدفع بالمخاطب إلى أن يلتقطها فيتبناها ويجعلها حجته الخاصة، وإلى أن يملأ بنفسه الفراغ المشار إليه بنقاط الاسترسال"[56]. عندئذ يكون مدار الخطاب فيما تركز عليه البلاغة استدراج الخصم وجعله يذعن ويسلم بما يقترحه عليه المتكلم؛ "لأنه لا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة، ولا المعاني اللطيفة الدقيقة، دون أن تكون مُستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها"[57]، ولا تتحقق هذه الغاية دون المرور على أسلوب الحذف، فهو ما يجعل النفس تذهب في الخطاب كلّ مذهب، ولو ذُكر اللفظ لاقتُصر على الظاهر ولم تتحرك الضمائر.

ومن ذلك ما يرمي إليه أسلوب الحذف من "تركيز انتباه المتلقي على الحدث دون سواه؛ لأنه هو المراد لفت انتباهه إليه"[58] يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (**القصص**:23/ 24) فقد حذف المفعول به في أربعة مواضع من الآية، وعندئذ يكون التقدير: أن نبي الله موسى عليه السلام "وجد أمة من الناس يسقون **مواشيهم**، وامرأتين تذودان **مواشيهما**، وقالتا: لا نسقي **مواشينا**، فسقى لهما **مواشيهما**؛ لأنّ الغرض أن يعلم أنه كان من الناس سَقيٌ، ومن الامرأتين ذَوْدٌ، وأنهما قالتا: لا يكون

منا سقي حتى يصدر الرعاء، وأنه كان من موسى عليه السلام بعد ذلك سَقي"[59] فالتركيز هنا على الحدث دون سواه، وهو محل حصر ذهن السامع عليه لانكفائه على حدث "سقي موسى للمرأتين" بعد أن كان منهما عدم الاستطاعة على التدافع على عين الماء محل السقي.

واعتماداً على حسن استثمار آلية الحذف تنشأ القاعدة البلاغية لتثبت تحريك الأسلوب القرآني للدرس البلاغي، يقول ابن أبي الأصبع وهو يضع نصب عينيه هذه الصياغة القرآنية للتركيز على الحدث "إن العناية متى كانت متوفرة على مجرد إثبات الفعل، لا على أن يُعلم المفعول، فالأولى حذف المفعول"[60]. إنه الربط من بلاغيينا لحقيقية الحذف الفنية بالأبعاد النفسية انطلاقا من خصائص الأسلوب القرآني؛ لأن "للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن مقدار الاحتمال دعا إلى الاستقلال، وصار سبباً للملال، فذلك هو الهذر والإسهاب والخطل وهو معيب عند كل لبيب"[61]، فتقديم المعنى مشبعاً بالألفاظ الدالة عليه تستقبلة النفس ببرودة بعد إحساسها بالملل نتيجة الإسهاب في إبانته، فيما يسعى المخَّاطب وهو شغوف بإدراك المعاني بعد أن أُضمِرت بعض المكونات اللفظية الدالة عليه وناب عليه الإلماح، وهنا يكون الاجتهاد في الوصول إلى المعنى في شكله الكامل أو كما يراه هو على الأقل.

الحذف/ الإضمار بين الاقتضاء والانفتاح القرائي

إننا لن نفرق فيما سنذهب إليه في حديثنا عن إسقاط اللفظ من التركيب بين مصطلحي: الحذف أو الإضمار حتى وإن عَنىَ الأول منهما إسقاط الشيء لفظاً ومعنى، وعنَى الثاني إسقاط الشيء لفظاً لا معنى[62]، فهما إذاً يشتركان في خاصية الإسقاط وهذا ما يعنينا هنا، فيما سيتولى التحليل فرضية إسقاط المعنى من عدمه بين المصطلحين.

وعليه يكون الإقرار ابتداء بأن الحذف إضمار(**L'implicite**) والمضمر "بالأَوْلى أن يؤدي لفظ الضمير "أنثوميما" معنى أو غرض أرسطو وباختصار فإن ما يقصده أرسطو من أنثوميما هو الفكر التأملي"[63]، وعلى هذا الاعتبار يجوز للباحث في حقل البلاغة أن يحول لفظ الضمير إلى "قوة النظر" فهي القوة التي تتيح للقارئ أن يُعمل فكره ويُحضرَ فهمه فيما يضيفه من معانٍ على القول المضمر، وهو ما يذهب إليه فان ديك حينما يقول "لقد لاحظنا مرات عديدة أن لغة التخاطب

الطبيعي ليست صريحة، ذلك أنه توجد قضايا لا يقع التعبير عنها تعبيراً مباشراً، ولكن يمكن استنتاجها من قضايا أخرى قد عُبّر عنها تعبيراً سليماً"[64] ولا أظن ذلك غير القضايا المضمرة التي يكون للسياق دور في استخراجها والكشف عنها.

إن كان هذا ما تردده المقولات النقدية الغربية القديمة والمعاصرة حول الضمير، فإننا في تراثنا البلاغي لا نعدم هذا الفكر الثاقب الذي وضع يده على أهمية المضمر وعلاقته بما يبوح به الخطاب المعلن، فقد تمثل ذلك ابن الأثير لما اعتبر أن "الأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف فإنه لغو من الحديث، لا يجوز بوجه ولا سبب"[65]. وقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾(**يوسف**: 20) خير دليل؛ لأنّ المحذوف هنا هو المقصود بالخطاب والمراد بالنية كما يقول الكفوي "وهو الأهل" أي أهل القرية، وهو ما لا يطلب في أسلوب الإيجاز بالقصر "القصاص حياة" حيث المطلب الوحيد هو التعبير باللفظ القليل عن معنى ما، ففي القرية المحذوف تأوُّلي، وفي القصاص المحذوف كمّي.

إن المعنى الضمني يشتق من المعنى الحرفي؛ أي إنه لا يمكن القفز على ما تُقدمه الجمل من ألفاظ، إذ يتم حولها بلورة المعنى الضمني وتشكيله، لذا يشترط في المضمر موافقة مقتضى الظاهر، أي "أن يكون المضمر حاضراً في ذهن السامع بدلالة سياق الكلام أو مساقه عليه أو قيام قرينة في المقام لإرادته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿عبس وتولى﴾"[66]، أما إذا كان الإضمار على خلاف مقتضى الظاهر "فشرطه أن يكون هناك نكتة تدعو إلى تنزيله منزلة الأول، وتلك النكتة قد تكون تفخيم شأن المضمر"[67]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (**القدر**:01) جاء التفخيم للقرآن في الآية رغم إضماره وعدم ذكره ومع ذلك كان الحذف نفسه شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح. لذلك يكون "المحذوف إذ دلّت الدلالة عليه في حكم الملفوظ به"[68].

إذاً هي دلالة الاقتضاء(**La Présupposition**) حيث يتم الاحتراز بها عن العبث بالمعنى على عكس ما يقتضيه الظاهر، فيكون السياق دليلاً على الكلمة المضمرة، ويتوقف معنى الكلام بصفة معقولة على الظاهر وإلا يستحيل فهم الكلام عقلاً في حالة عدم الأخذ به. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(النمل:15) ففي الآية حذفت مجموعة من الجمل، وتقديرها: "ولقد آتيناهما علماً فعملا به وعلماه، وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله..."[69]، ولقد حذفت هذه الجمل اختصاراً؛ لأن السياق يستلزمها ويستدعيها فهي معلومة بالضرورة، وكلما كان للمتلقي علم بمثل هذه القضايا متصلة بالموضوع، كان البرهان عليها أسهل، وكلما كانت هذه القضايا المؤولة أقرب إلى موضوع الخطاب كانت أكثر اختصاصاً به[70].ذلك أن التعبير الصريح ما جاء إلا ليؤدي وظيفة مرهونة بتمريره لمعنى مضمر.

هكذا تكون "الجدلية بين الظاهر والباطن(...) أو المعلن والضمني الذي يقارب بين اختلاف مقصد المخاطب، وإدراك وفهم المتلقي لهذا الأخير، فنحن حين نقارب بين ما يقول المتكلم وما يريده فعلاً، يصير الأمر محل استفهام، حينها تقوم جدلية المعنى والدلالة الحاصلة في الخطاب، ونكون في حاجة إلى آليات أخرى تتجاوز ما هو لساني صرف إلى ما هو تداولي ومقامي، للوقوف على المعنى الحقيقي للخطاب، ومدى كفاءة كل من المخاطب في بلوغ مقصد المتكلم، والإجراءات التي يستعملها في ذلك"[71]، وعقب هذه الجدلية تنشطر العبارة محل الإضمار شطرين: أما أحدهما فيلتزم ظاهر الألفاظ التي عمد المتكلم إلى الإفصاح عنها، فيما يذهب الشطر الآخر وهو العبارة المواراة التي لم ينطق بها المتكلم إلى احتواء وتضمّنِ معانٍ يساعد في التوصل إليها الكشف عن المخبوء من الألفاظ، وعندئذ يكون الشطر الأخير هو الأقرب تضمناً لتمام الدلالة؛ لأن باستظهار مخبوئه يتم التعبير بكيفية فكرية عن المعنى، حتى وإن كانت المادة الصوتية فيه قد جنحت إلى الاختزال.

واجتناباً للمغالاة في التأول قد وُضِعت أدلة ضبط حدود ملء الفراغ، وعُدّت كأسس تتحكم في فهم الخطاب وتقدير صورته المثالية "الباطنة". وكعلامات تُحُدّ الحذف والإضمار، ويمكن حصرها فيما يلي:[72]

1- ما يدل عليه العقل، ويدل على المقصود الأظهر على تعيينه: كقوله تعالى: "حرمت عليكم الميتة" فإن العقل بمفرده يدل على الحذف من حيث إنه لا يصح الإجرام، كما يدل المقصود الأظهر على أن المحذوف المقدر هو "أكل" الميتة؛ لأن الغرض المتوخى من هذه الأشياء أكلها، فالأكل عامل خارجي في فهم العبارة.

2- بمجرد إعمال العقل: كقوله تعالى: "وجاء ربك" فعقيدة المسلم هي الحاجز في أخذ الكلام على ظاهره والإقرار بوجود محذوف قد يقدر بالأمر أو العذاب أو البأس، فتكون العبارة (وجاء أمر ربك) وهكذا تجنب الفهم البشري إسناد المجيء إلى الله سبحانه وتعالى.

3- السياق: وفيه يقدر الكلام حسب المقام الذي يليق به ومن ذلك قوله تعالى: "وعلى الله فليتوكل المؤمنون" حيث كان التقدير واجباً على غير ظاهر القول فيكون "وعلى وقاية الله فليتوكل المؤمنون" أو "على كف الله المكاره فليتوكل المؤمنون"، وهكذا ينزّه الله تعالى عن أن يقع عليه ما لا يليق ولا يجوز من الأفعال.

4- الذي لا يستقيم الكلام بدونه ولا يصبح المعنى إلا به: من قبيل الآية "واسأل القرية" وهذا الأسلوب يستدعي حلاً بتقدير لأنه يستحيل عقلاً تكلم الأمكنة.

وقد تتضافر أدلة أخرى بمعية العقل فتحول دون انزلاق التأول بافتراض مضمرات بعيدة عن مقتضى القول أو الالتزام بحرفية الظاهر التي لا تؤدي المعنى المراد من الخطاب، ومنها:

ـ العقل والعرف: كقوله تعالى: "حرمت عليكم أمهاتكم"، أي نكاح أمهاتكم فهو المقصود بالتحريم.

ـ العقل والعادة: كقوله تعالى: " ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾(**يوسف**:32) فما ينبغي أن يكون يوسف عليه السلام محل اللوم وإنما اللوم في المراودة وما تبعها من أفعال.

ـ العقل والشروع في الفعل: ففي "بسم الله" يكون التقدير باسم الله أقرأه، وهكذا يكون الإضمار محلاً للكلام الذي لم يفصح عنه المتكلم، فيما تلقى المسؤولية على المتلقي فينطق بالمعنى قائلاً ما شاء، لكن بشيء من التحفظ والاحتراز، كي لا ينقلب عليه قوله أو حتى قول المتكلم من قبله بعد أن ضمَّن في قوله دليلاً عليه[73].

ومهما يكن من شأن هذه الأدلة عن الحذف فإنها لا تَحُدُّ لا من رحابة الخطاب ولا من الانفتاح القرائي للمتلقي؛ لأن ما يتميز به الخطاب المضمر هو التباس معانيه واستشكالها على المتلقي سواء بانفتاحها على معانٍ شتى أو بانعدام ما يصوِّغ له إيجاد مسدٍ لهذا الفراغ، لذا فإن "من مهام التداولية أن تفسر كيف يمكن للسامع أن يتوصّل إلى فهم القول بطريقة غير حرفية، ولِمَ اختار

المتكلم صيغةً في التعبير غير حرفية، بدل صيغة حرفية"[74]، وعندئذ يغدو الجهل بالغرض غير مقتضٍ بعدم وجود الغرض ذاته في الخطاب؛ لأن "الأغراض الخفية تبقى سراً يفتح أمام العقل البشري باباً واسعاً للتأمل والتدبر على مرّ العصور"[75]، والمتلقون أصناف منهم من يلج الباب ومنهم من يحول عنه فكره دون ذاك. ولعله السبب الذي يدفعنا إلى الإقرار بأن الخطاب القرآني قد شرّع أمام المتلقي التأول، لمّا ألقى إليه بهذا الأسلوب الموسوم بالانفتاح الذي لا ينتهي عند أفق متلقٍ واحدٍ، أو يؤتى على استهلاكه في زمن بعينه دون غيره.

هكذا يدفع الأسلوب القرآني عبر تعاقب الأزمنة بالمتلقي إلى توظيف كلّ طاقته التفكرية بشكل من الأناة للنفاذ إلى خبايا المعنى والوقوف على مزية الخطاب من خلاله، وهو يدرك ـ أي الأسلوب القرآني ـ أن "السامع يترك مع أقصى تخيله بتقديره أشياء لا يحيط بها الوصف، وذلك حيث يسوق السياق إلى معنى واحد يقع على أنحاء كثيرة، ووجوهٍ متعددة وآخذة بالنوع، ولأَخْذِ بعضها بدل بعض في زمن كأنها تقع فيه دفعة يحار الوهم ويعظُم التخيل لها بذلك لو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به المعين فلا يكون له ذلك الوقع"[76] فمرد الحذف للسرمدية، إذ ما حُذف المحذوف إلا ليبقى هذا النص خالداً لا يتآكل بفعل الفهومات المتعاقبة.

عندئذ يكون التفكير والتأمل لإدراك المحذوف على الدوام المراد الذي يُنَال به أجر الاجتهاد في طريقة تقريب الفهم وتسهيل الحفظ والأصل قي ذلك قلة المذكور[77]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾**(البقرة:165)** فجواب الشرط في الآية محذوف وتقديره لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقع العلم بظلمهم وضلالهم، أو بتعبير آخر: لوقعوا من الحسرة والندم فيما لا يكاد يوصف[78]، فكان الغرض من الحذف في هذه الصيغة القرآنية، ترك المحذوف مبهماً لكي تذهب العقول في إدراكه كل مذهب ممكن، وإفساح المجال للخيال في تصوره كل تصور محتمل، ومع ذلك لا يمكن للنفوس أن تحيط بكنهه، ولا يتسنى لها أن تستجمع شتاته.

لذا يغدو الحذف في هذا التشكيل الأسلوبي واجباً وأولى من الذكر[79]، إذ لو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به المعين فلا يكون له ذلك الوقع، فكلما ابتعدت الدلالات وغاصت

المعاني واتسعت المسافة بين الظاهر والمضمر كان حضور المتلقي التفاعلي حضوراً متميزاً، مصدره التفاعل مع فجوة أحدثها ذلك الإضمار، فإذا به ينظر "نظر المتثبّت الحصيف الراغب في اقتداح زناد العقل، والازدياد من الفضل، ومن شأنه التوق إلى أن يعرف الأشياء على حقائقها، ويتغلغل إلى دقائقها، ويربأ بنفسه عن مرتبة المقلّد الذي يجري مع الظاهر، ولا يعدُو الذي يقع في أوّل الخاطر"[80]. إنما يصول ويجول بفكره وبتأول إلى المعاني الخفية التي تتوارى عن الأنظار وتمحي من الأسطر ليكون المعنى هو الدال عليها بعد إمعان النظر في القول.

الصيغة الحجاجية للحذف

استناداً إلى ما سبق طرحه حول ما يوفره الحذف من طاقة تأويلية مهداة إلى المتلقي لإتمام المعنى الكلي للخطاب مع مراعاة الحيثيات التي أشرنا إليها في موضعها، يمكننا القول بأنّ الأسلوب القرآني كان له الأثر الأكبر في الوصول إلى ما وصل إليه الدرس البلاغي، اعتباراً على تضمنه القسط الأوفر من الشاهد الذي طبق عليه البيانيون واستنبطوا منه القواعد التي وصلوا إليها.

وكيف لا ونحن لا نكاد نجد صفحة واحدة من المصحف الشريف تخلو من أكثر من نموذج واحد، إن لم نقل نماذج من الحذف، وقد كان ابن جني قد أحصى نوعاً واحداً من أنواع الحذف في كتاب الله تعالى وهو حذف المضاف فقال: "وأمّا أنا فعندي أنّ في القرآن مِثْل هذا الموضع نيِّفاً على أَلْفِ موضِع وذلك أنه على حذفِ المضافِ لا غير"[81]. هذا يوحي بأن كثرة هذا الأسلوب تعود على قوته دون غيره من أساليب القرآن الأخرى، لذلك استدعت ضرورة البحث أن نرى في إمكانية استثمار بعض هذه النماذج التي تضمنتها مدونات الإعجاز، أو غيرها مما اخترناه من آي القرآن الكريم، للتدليل على رحابة أسلوب القرآن الكريم الذي ولا شك، يمكنه احتواء كل المقولات النقدية التي تشتغل على اللغة؛ بل إن هذه المقولات ورغم حداثتها لا يمكنها استنفاد الطاقة التعبيرية للغة القرآن الكريم.

فممّا انتهى إليه الدرس في باب الحذف، أن هذا الأخير يقع في اللغة على الحرف والكلمة والجملة، فيكون حذفاً صريحاً في الحالتين الأولى والثانية فيما يكون مضمراً قائماً على التضمين في الحالة الأخيرة، أي حذف الجملة، لذلك سمي في حالة الصراحة بالاختزال فيما اتخذ في الحالة الثانية

ـ حذف الجملة ـ عدة أشكال. وعلى أساس كل شكل كان اختلاف التسمية، وأشير هنا إلى أنني لن أتناول كل أنواع الحذف ومظاهره وإنما سيتم التركيز على مظهر واحد وهو المظهر الثاني أي حذف الجمل ـ أو حذف "تركيب لغوي بكامله"ـ نظراً لما في هذا النوع من توافق مع أهم مقولات نظريات التلقي والتداولية والحجاج، أو فيما يصطلح عليه بالبلاغة الجديدة.

لكن قبل البدء في الحديث عن حذف الجمل تجدر الإشارة إلى أن البحث في معاني الآيات القرآنية من حيث ما يخزّنه الحذف فيها معان إضافية غير مستهلكة لَهُوَ من صميم البحث في المعاني الإعجازية التي خُصَّ بها القرآن الكريم وأسلوبه من الباري جلّ وعلا، وهذا ما "يتنزه به خطاب الخالق عن خطاب المخلوق، خارج قاعدة تمييز الشيء بضده"[82]. لذا نريد أن نقف في دراسة هذه الآيات بين:

1ـ جمالية الخطاب: التي تحلي أسلوب القرآن الكريم وهي مطمح ومطمع كل صاحب أسلوب.

2ـ عقلنة هذا الخطاب في بعض آيه من خلال اعتمادها البرهنة القولية انطلاقاً من اللغة وباللغة، وهي ـ أي البرهنة ـ ليست كتلك البرهنة الصورية التي أشرنا إليها سابقاً. مما يدعونا إلى استحضار نموذج من القرآن لكل أنواع الحذف أو جلها على الأقل.

وبهذا فإننا سنخاتل إستراتيجية القول التي توافرت في الأسلوب القرآني خاصة تلك التي اعتمدت أسلوب الصمت؛ لأن بها يدرك المتكلم والمتلقي على السواء ما يعزّ منالُه بالكلام والتلفظ، وهنا سنجد أنفسنا أمام العناصر الأساسية للعلاقة الحجاجية والتي "تتكون على الأقل من ثلاثة عناصر، قول الانطلاق(معطى، مقدمة منطقية) وقول الوصول(خلاصة، حاصل) وقول(أو أقوال) العبور والذي يمكّن من اجتياز قول إلى آخر(اقتضاء ـ دليل ـ حجة)"[83] وفي المقابل يكون المتكلم والمتلقي والسياق.

فالخطاب لن يكون هنا سافراً وإنما مشفّراً لما فيه من إسقاط لبعض مكوناته، لكنه الحذف نفسه يدفع المتلقي إلى الاهتمام بالخطاب والاجتهاد في إدراك معناه المضمر، وهكذا تكون علاقة الخطاب بالبيان إلى درجة من التعقيد فهو يُبين ولا يُبين، نقيض للبيان جراء ما أسقطه البيان نفسه منه من تركيبه، وسبيل المتلقي إليه ـ أي إلى البيان ـ بفضل ما أضمره البيان نفسه فيه من دلالة

يفترض أن يشترك فيها مع المخاطب، فترى أن الإبانة ونقيضها متضمنان في الآن معاً، وكأن "المعنى لا يوجد في النص وإنما يوجده المتقبل، ولهذا كان الاختلاف، فليس النص ناطقاً وإنما ينطقه المتقبلون"[84]، فالإشكال إذاً يتوقف على مفاتيح تفوق ثلاثية **"باتريك شارودو"** إلى ما يؤطرها من سياق وبكل مكوناته التي وقفنا عليها من حدودٍ للحذف وما تتطلبه، وأخيراً التأول وإتمام للمعنى.

فلا وصول للمقصدية ما لم يشترك "المتلقي في تحديد الغرض النهائي من الكلام باعتبار الألفاظ قاصرة أحياناً عن أداء الدلالة وحدها [أي كما يقول البلاغيون: الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر] وقدرة المتلقي على الاستدلال هي شرط قبلي لتجاوز "المعاني الأوائل" [قول الانطلاق] للوصول إلى "المعاني الثواني"[85] (قول الوصول)، مروراً بقول العبور؛ إنها القدرة على الحفر في ما وراء اللفظ للربط بين المعنيين، هكذا يكون الحجاج دليلاً "على صنف خاص من العلاقات المتضمنة في الخطاب والمدرجة في اللغة، ضمن المحتويات الدلالية"[86].

أنواع الحذف

1. **حذف الحرف**: قال تعالى:﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾(**يوسف**:29)، بحذف ياء النداء كأنه أراد بقوله يوسف اكتم هذا الأمر ولا تتحدث به صيانة لعرضنا وشرفنا في قومنا، وهو يهمس بهذا الخبر في أذن يوسف محاذراً أن يسمعه أحد، ما يوحي بتقريب وملاطفة يوسف عليه السلام، حتى يقع إضمار الحادثة فلا يجب أن تنطق بها الألسن. أو ما وقع في حذف ياء المد في قوله تعالى:﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾(**الفجر**:1/ 3)، غرض حذف الياء من (يسري) المحافظة على نسق الآيات الكريمة وبقاء النغم الصوتي للفواصل.

2. **حذف المفرد**: وهو حذف صريح يعبَّر عنه بالاختزال، وفيه تحذف كلمة أو أكثر، وهي إما اسم أو فعل:

- حذف المضاف: قال تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾(**يوسف**: 20)، أي أهلها.
- حذف المضاف إليه: قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾(الأعراف: 142)، أي بعشر ليال.

• حذف الاسم الموصوف: قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾(مريم: 60)، أي عمل عملاً صالحاً.

• حذف الصفة: قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾(**الكهف**: 79)، أي سفينة سليمة أو صالحة.

• حذف ما يكون شرطاً: قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾(**الشورى**: 9)، أي إنْ أرادوا أولياء فالله هو الولي.

3. **حذف الجملة**: ميزة هذا النوع أنه لا يظهر بالإعراب عكس حذف المفردات، قد قسّمه ابن الأثير إلى قسمين حذف للجمل المفيدة، وآخر للجمل غير المفيدة. فأما " حذف الجمل المفيدة التي تستقل بنفسها كلاماً، وهذا أحسنُ المحذوفات جميعها، وأدلها على الاختصَار ولا تكاد تجدهُ إلا في كتاب الله تعالى"[87] ولما كان هذا النوع من الحذف من خصوصية القرآن وجب الوقوف عنده لمعاينة الحجج والأغراض البلاغية التي أُريدَ لها. ولنبدأ بحذف جملة جواب الشرط.

حذف الجواب:

بداية إن ما سنختاره من آيات هي جمل شرطية قد حذف جوابها، ليأتي المتلقي ويتصور الجواب استناداً على ما قدّم من شرط؛ لأنّ بحذْفِ الجواب ينفتح أفق المتلقي في تصور الجزاء ويذهب فكره فيه كل مذهب، وعلى هذا فحذف الجواب أبلغ من ذكره، يقول تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(**الأحقاف**:10)، حذف جواب الشرط في هذه الآية وتقديره: (إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين؟) ويدل على المحذوف قوله تعالى: "إن الله لا يهدي القوم الظالمين"[88]، بإقرار ما رآه ابن الأثير نتلمس اتكاءه على ما اشتملت عليه جملة الشرط من "ألفاظ ذات معان تحدد طبيعة الجواب المحْذوف ومحتواه وتلزم المتلقي بتصور ذلك الجواب دون غيره"[89]، فالظلم ثابت على من استكبر وعاند ولم يمتثل للأمر الإلهي، وهو المعنى الذي تضمنته جملة الشرط، وهو ما يصطلح عليه بالموجّه المقالي(*)، لذا توجب في جواب الشرط أن يكون مضمونه مترتباً على

مضمون الشرط، فبموجبه يتوجه المتلقي إلى تصور الجواب الذي يدور في فلك هذا المعنى، لترى في حذف الجواب دلالة على مثوله في الذهن لشدة ما شغل النفس واستأثر بعميق تفكيرها[90].

فمن الضروري إذاً في الطبيعة الحجاجية لجملة الشرط المحذوف جوابها في القرآن الكريم أن "تنطوي ذاتها على العناصر اللغوية التي شأنها أن توجه المتلقي إلى الجواب الذي ينبغي أن يكون منه، فهو بحكم اهتدائه إليه في ضوء الموجه المقالي يصنعه ويملأ به ثغرات الكلام ويتبناه فيكون ذلك ألزم له بالحجة وأمضى أثراً في ذهنه"[91].

أما في قول تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾(**الأنبياء**: 38،39)، فتقدير جواب الشرط المحذوف لما استعجلوا فقالوا متى هذا الوعد[92]، ولرجعوا عن كفرهم أو لَمَا كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء. ذلك لأن "الموجه المقالي" يتمثل في ذلك السؤال الذي ينبع من شعور مستهزئ غير شاعر بما ينتظر صاحبه من الأهوال والعذاب، فجاء تقدير جواب الشرط لعبارة " لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ" لما استعجلوا فقالوا متى هذا الوعد. هكذا تولّدت القاعدة البلاغية التي تتيح بل تحبذ حذف جواب الشرط، وهو كثير في كلام العرب شريطة أن يكون في الكلام ما يدل على حذفه، كقولهم "أنت ظالمٌ إن فعلت كذا" أي: إن فعلت كذا ظلمت فحذف "ظلمت" لدلالة قوله: "أنت ظالمٌ عليه"[93].

كما أنّ تقدير جواب الشرط في آية: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(**القصص**:10) هو "لأبدت" إذ أنّ دلالة الإخبار عن الكشف التي اشتملتها الآية من أمر موسى عليه السلام كان على وشك أن يتنامى إلى جنود فرعون بعد أن تعلق قلب أم موسى بابنها ونفد صبرها، لولا أنّ الله ربط على هذا القلب لأبدت صاحبتُه الأمرَ ولأخبرت به ولأعلمت بشأنه، وما كان ليتبين لنا دليل هذا الحذف وسطوعه لولا أنه كان في جوار جملة الشرط القريب من الجواب. ليكون هذا الأسلوب هو من أهم أساليب الحجاج في القرآن وهو الأكثر توظيفا، نظرا لما يحدثه عند المتلقي من دفع نحو التأويل بعد أن يضعه على تخوم الفراغ

فيذهب إلى ملء الفراغ وقد تسلح من أجل ذلك بالأدوات اللازمة استعارتها من الجوار القريب[94].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(البقرة:170) إنّ جملة الشرط هنا "أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ" وجوابها محذوف تقديره "لاتبعوهم" وما قادنا وقاد غيرنا[95] إلى تصور جملة "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا" أن تكون محل الدليل وتسد مسد الجواب الموجه المقالي الواقع في الجوار القريب للجواب نفسه.

هكذا كان الموجه المقالي في الجوار القريب حاضراً في كل الجمل، ففي الجملة الأولى يقدر بإعادة صياغتها كالآتي: "حتى ولو أدركتم أن هذا الكتاب من عند الله لما آمنتم به، وإن فعل ذلك غيركم؛ لأنكم قوم ظالمين والله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"، فيما تكون صياغة الثانية " لو يعلم الذين كفروا بما ينتظرهم من العذاب لكفرهم لما استهزؤوا بالعذاب واستعجلوه ولرجعوا عن كفرهم أو عن استهزائهم"، أما عن صياغة الجملة الثالثة فتكون "لولا أن أم موسى لم تكن مؤمنة لما ربط الله على قلبها لِتصبر على عدم البوح بقصة ابنها، فلإيمانها وبتثبيت الله لها لم تُبْدِ أمر ابنها"، وأخيرا تكون صياغة الجملة الرابعة على هذا النحو "وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله لقالوا بل نتبع آباءنا حتى لو علموا أن آباءهم كانوا على ضلال، لاتبعوهم لضلالهم".

ليكون الحذف على هذا النحو هو الصانع بنفسه ولنفسه حجته الخاصة، ليجعل "من المتلقي أداة لتنفيذها، فهو يتممها ويصرح بها في ضوء المعطيات الجاهزة في الجوار القريب"[96] الذي يعد في حد ذاته تكراراً للمحذوف المقدر سواء أجاء بعده أم قبله، فهو استدراج للمتلقي لِأَنْ يصادق على المعنى المتضَّمَّن في جملة الجوار القريب هاته. كما هو في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ﴾(الزمر:22)، ففي شطر الآية الأول محذوف تقديره "أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن أقسى قلبه وتركه على ظلمة من كفره"، ودل على المحذوف قوله في الشطر الثاني وهو جوارها القريب "فويل للقاسية قلوبهم عن ذكر الله"[97].

وعندئذ تكون عملية حذف الجمل "كعملية ذهنية أشبه بالقياس المضمر يذكر فيها المتكلّم المقدمات ويذر فيها النتائج مستدرجاً المتقبّل إليها ملزماً إياه بها"[98]. وكأنّ الاستدلال يتجاوز في أسلوب الحذف النطاق الضيق للمنطق الصوري؛ لأننا نرى أنّ أي تعبير مضمر يمكننا استخلاصه من القول واستنتاجه من محتواه الحرفي عبر التوفيق بين المعلومات هو استدلال، هكذا يفضح هذا الاستدلال المحتويات المضمرة بكافة أنواعها[99]. فالإضمار هنا يعتمد على إسقاط لفظٍ من القول والإتيان بلفظ مجاور له لبيان معناه، وإن كنا أشرنا إلى هذه القضية آنفا تحت عنصر الحذف/ الإضمار بين الاقتضاء والانفتاح القرائي.

من الملاحظات العامة على الجمل الشرطية المحذوف جوابها أنها تتضمن غرضاً آخر تؤديه كتوكيد الكلام المحذوف ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾(**البقرة**:253)، تقديره ولو شاء الله ألا يقتتلوا ما اقتتلوا ولكن الله أراد اقتتالهم فكان منهم الاقتتال تأكيدا منه على مشيئته عز وجل فحذف مفعول المشيئة لدلالة ما بعده عليه لتأكيد المعنى، أو قد يكون الغرض القصد إلى البيان بعد الإبهام كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(**النحل**:9)، وقوله أيضاً: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾(**الشورى**:33)، فقد حذف المفعول في الآيتين، وجعل النفس تتطلع إلى معرفته؛ لأنها إن تعلقت بشيء مبهم هامت في معرفته. لذا كانت القاعدة العامة حول هذا النوع من الحذف، أنّ "حذف الأجوبة، هو أبلغ من الذكر"[100].

كما نؤكد هنا على علاقة حذف الجمل ومدى ارتباطها بنفسية المتلقي كما هو الحال في حذف جملة جواب القسم في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾(**الفجر**:1ـ8) حذف جواب القسم وتقديره: لَيُعَذَّبُنَّ، أو نحوه، ويدل على ذلك ما بعد قوله: "ألم تر كيف فعل ربك بعاد" إلى قوله: "سوط عذاب"[101]، لنكتشف أنّ حذف جواب القسم في هذا النص القرآني، قد وسّع من دلالته الإيحائية، وبذلك منح القدرة على توسيع تخيل المتلقي في

تصور العذاب الذي أعدّه الله سبحانه لمن يكفر به وبآلائه ونعمائه، وهذا ما لا يتوافر فيما لو صرح بجواب القسم في صدر هذه السورة المباركة[102].

يمكن القول ختاما في حذف جملة الجواب أنّ القوة التعبيرية والحجاجية التي تتوفر في هذه الجملة انعكاس لموقف نفسي، تتدافع فيه المضمرات الكاشفة عن المعنى نتيجة تلك الرغبة الجموحة لدى المتلقي، فيهيم بفكره في فضاء التأويل المناسب لما حدده مبدأ الموجه المقالي ابتداء وفرضته جملة الجوار، يقول السجلماسي: "وإنما يحذف الجواب في مثل هذه الأدوات المقتضية الجواب لقصد المبالغة؛ لأن السامع يترك مع أقصى تخيله بتقديره أشياء لا يحيط بها الوصف"[103]، فالتأويلات تتدافع والمعاني تتكاثر نتيجة منبه الحذف، إذ تسعى لملء الفراغ الذي يسببه هذا الأخير، فتكون المحاولة لاستشفاف ما يعنيه الخطاب في جانبه المتكتم. فتنشط النفس وتُشحَذ الهمة لمعرفة هذا الجانب الغيبي في العبارة، ولا يصح من تلك التأويلات إلا ما افتُرض سلفا وفق تلك المحدِّدات. وإنّ النص بفعل هذا الملء للفراغات ليبقي على حياته وانفتاحه وفق سياقات التلقي المتعاقبة.

الحذف المقابلي:

يسمى حذف المقابلي بالاحتباك وهو مأخوذ من الحبك الذي معناه الشد والإحكام وتحسين أثره في صنعه للثوب، وحبك الثوب سَدُّ لما بين خيوطه من الفراج وشدّه وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل من الحسن والرونق، ومعناه في الأسلوب أن يحذف من الأول ما ثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول[104]، وهو من ألطف أنواع الحذف وأبدعها لما فيه من إعمال للفكر، ففيه يكون التعويل على ذكاء المتلقي في إدراك المعنى بفضل إدراك المحذوف، يقول عنه السجلماسي "وهذا النوع بالجملة هو من القول الجميل ذي الطلاوة والبهجة والماء والعذوبة، الجزل المُقطع، الغريب المُنزع، اللذيذ المسموع، لما بين أجزائه من الارتباط، ولما للنفس الناطقة من الالتذاذ بإدراك النسب والوصل بين الأشياء، ثم بإبراز ما في القوة من ذلك إلى الفعل والشعور به"[105]، لذلك لا يمتهن هذا الأسلوب إلا العالم بطرق القول وحبك التعبير لخبرته بمواطن الحذف المُقابلي في الخطاب، مما جعل البيان محتاجا إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة[106].

الأصل في هذا النوع من الحذف أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من كل واحد منهما مقابِلُه، لدلالة الآخر عليه، كقوله تعالى:﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾(هود:35)، تقدير الآية: فإن افتريته فعليَّ عقوبة إجرامي أي افترائي وأنتم برآء منه، وعليكم إجرامكم وافتراؤكم وأنا بريء مما تجرمون، فنسبة قوله تعالى: "إجرامي" وهو الأول إلى قوله: "وعليكم إجرامكم" وهو الثالث ـ نسبة قوله "وأنتم برآء" وهو الثاني ـ إلى قوله تعالى "وأنا بريء مما تجرمون" وهو الرابع، فاكتفى من كل متناسبين بأحدهما[107]. ويمكن التمثيل لذلك بهذا الشكل:

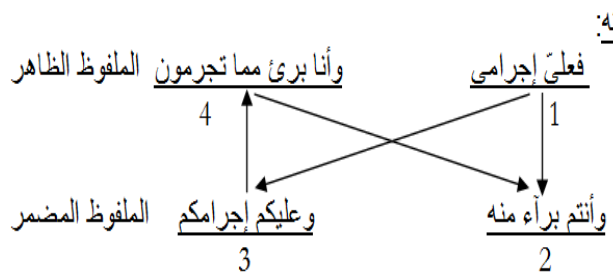

فتقابل "عليَّ إجرامي" و "أنتم برآء منه"، مع "عليكم إجرامكم" و "أنا بريء"، يحقق بنسبة الأول وهو اللفظ الظاهر إلى الثالث وهو المحذوف من جهة، ونسبة الثاني وهو المحذوف إلى الرابع وهو اللفظ الظاهر، فيكون استدعاء المعاني بالاعتماد على اللفظ الظاهر الأول ليفضي بنا إلى المحذوفين الثاني والثالث في ترتيب العبارة ممّا يوصلنا إلى اللفظ الأخير الظاهر في العبارة. وبذا لا يكون الحجاج "من شأن مقولات اللسان (الروابط التعليقية)؛ بل هو أساساً في شأن انتظام الخطاب على نحو ما"[108]، ويكون عندئذ إدراك المحذوف أمراً متجاوزاً لتقنية الصنعة النحوية وما تفرضه من معايير لإقامة أيّ بناء تركيبي لغوي.

إنه الدافع الذي يجعل عنصر الحذف في لسانيات النص المعاصرة من وسائل الاتساق والترابط النصي[109]. وذلك لأن الحذف لا يقصي العنصر المحذوف بالمطلق، لِما في ذلك من إخلال بالمعنى الذي يُؤديه ظاهر العبارة، وهو الأمر الذي يدفع بإيراد ما يدل عليه، وهنا يجب الرجوع إلى

مبدأ الموجه المقالي في الجوار القريب، مما يجعل الكلام بعضه آخذا ببعض، ويكون آخره دليلا على أوله، فيقتضي لزوماً بنائياً من نوع خاص للتراكيب، وهو ما يدلّ على "أهمية دور الحذف في الاتساق، الذي ينبغي البحث عنه في العلاقة بين الجمل وليس داخل الجملة الواحدة"[110].

إن أسلوب الحذف المقابلي يغري المتلقي ويمده بالجرأة التي تخول له إتمام الكلام بنفسه بعد أن ابتدأ فيه صاحبه وأعرض عنه بالحذف والتقابل، قال تعالى: ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾(**آل عمران**: 13) والأصل: فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت، ليكون الكلام المحذوف في الحذف المقابلي هو "الحجة التي يسكت عنها الكلام ويسقطها عاملاً مع ذلك بإحكام على أن يعثُر المتلقي عليها يلتقطها ويجعلها حجته الخاصة"[111]، وهذا مُأتَّى الخصوبة الدلالية والطاقة الحجاجية لهذا النوع من الحذف.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾(**البقرة**:222) تقدير الآية: لا تقربوا النساء حتى يَطْهُرْنَ ويَطَّهَّرْنَ، فإذا طَهُرْنَ وتَطَهَّرْنَ فأتوهن، بهذا الإخراج للتعبير والمعنى يكون المتلقي مجبراً عن أن يسلك طريقاً واحداً للوصول إلى دلالة الكلام ومعناه، دون أن يجتهد من عنده، فهو لا يملك إلا أن يلتقط المحذوف ويؤطره في موقعه بما يفرضه عليه نظام الجملة حيث تكون"دلالة السياق قاطعة بهذه المحذوفات، وبهذا التقدير يعضد القول"[112] ويصل إلى المعنى الذي أراد المتكلم أن يصل إليه.

إنّ الوظيفة المنيطة بالحذف المقابلي لا تقف على عتبة الوظيفة الجمالية في إثارة المتلقي واستفزازه؛ بل تتجاوز بالقول إلى مناحي شتى، حيث يجتهد المتلقي من خلال سياق القول واستحضار هندسة الجملة إلى الكشف عن المضمر فيه، فيتجاوز حرفية النص الموضوع بين يديه إلى هذا التلوين الأسلوبي الذي يفرض الاتساع الدلالي المنبعث من سياق القول.

حذف الاكتفاء:

يقول ابن جني: "الحذف اتساع، والاتساع بابه آخِر الكلام وأوسطه، لا صدره وأوّله؛ ألا ترى أنّ من اتسع بزيادة (كان) حشواً أو آخِراً لا يجيز زيادتها أوّلاً"[113]. لذا اختص الاكتفاء وهو نوع من الحذف، باقتضاء المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحدهما عن الآخر، ويختص

بالارتباط العطفي غالباً، ويكون لذلك نكتة[114]، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾(**البقرة**:3) أي وبالشهادة، فآثر ذكر الغيب كونه أمدح ولكونه مستلزماً للإيمان بالشهادة من غير عكس، وتلك هي النكتة وذلك هو موضع الحذف، وذاك ما لا يتشخّص في قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾(**النحل**:81)، إذ أنّ الآية مسوقة لامتنان وقاية الحر، فلا حاجة إلى اعتبار البرد، وهي بذلك نكتة أخرى اقتضاها سياق التعبير.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾(**التكاثر**:5-6)كأنه قال: "لأقلعتم عن باطلكم" أو "لتحققتم مصداق ما تُحَذّرونه"، وما هو نحو ذلك مما تقع الدلالة عليه[115]، قد يكون الغرض من الاكتفاء المطابقة بين انقطاع وتمام المعنى مع المبنى مثل قوله تعالى:﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾(**ص**:32)، فالفاعل في هذا النص محذوف وتقديره حتى توارت "الشمس" بالحجاب، وكان الغرض من حذفه الإشارة إلى تواري الشمس عن الوجود حقيقة وعياناً، فجاء التواري والاختفاء والاستتار اللفظي دليلاً على التواري والاختفاء والاستتار الواقعي[116].

ولعلنا هنا نجاري ما طرحه ابن الأثير في قوله "فإنْ قيل: إن المعنى الزائد على اللفظ المحذوف لا بد له من تقدير لفظ آخر يدل عليه، وتلك الزيادة بإزاء ذلك اللفظ المقدر؟!" وعندئذ يكون الردّ، بأسلوب حجاجي مفاده أنّ المعنى إذا كان زائدا وظاهرا، فإنّ اللفظ الدال عليه مضمر، والمضمر لا يُنطَق به فهو في حالة العدم من النظر؛ فكأنه لم يكن، ولكنه مع ذلك موجود بينما اللفظ الدالّ عليه غير موجود، وهذا أقوى دليل على أن الإيجاز بالحذف يتيح زيادة المعاني على الألفاظ، فاللفظ فيه يدل على معنى لا يتضمنه، وفهم ذلك المعنى ضرورة لابدَّ منها، فكان المعنى الزائد على اللفظ مفهوم من دلالته عليه[117]. وذلك ما نراه في قوله تعالى:﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾(**آل عمران**:28)، فما وقع من حذف للمضاف هنا، وتقديره "أنْ لا موالاة له عند الله في شيء وأنه منسلخ منها"، إلا ليوحي إلى معنى براءة الله منه، وانقطاع الصلة بينه وبين الله تمام الانقطاع، وبذلك كان الانقطاع اللفظي وسيلة

للتعبير عن الانقطاع المعنوي[118]. ليكون للحذف طاقة كافية تضمن له التبليغ بعد التأول، لكن دون الظن بأنه انفتاح لا حدّ له، وتأول مطلق قد يتعارض مع الدلالة المرادة من النص.

خاتمة

لقد حاولنا في هذا البحث الربط بين الحذف في الأسلوب القرآني وبعض مقولات النظرية النقدية المعاصرة، لعلنا نخلص إلى أن أسلوب الحذف يمكن أن يستثمر في بلورة مفاهيم هذه المقولات، خاصة في الفكر العربي على الأقل، وقد تبين لنا أن ظاهرة الحذف تستجيب بمقتضى الشجاعة المركبة بين اللغة العربية والقرآن الكريم إلى كثير من هذه المقولات. منها ما ألمحنا إليه في هذه الصفحات كنظرية التلقي، ونظرية الحجاج، ولسانيات النص.

وبذلك أشار الأولون حين رأوا أن الإيجاز بالحذف عجيب أمره، فهو شبيه بالسحر؛ لأنّ ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وفيه يجد المتكلم نفسه أنطق ما يكون إذا لم ينطق، والتخطي والإيماء إلى المعنى دون التصريح به هو ما يشد سامعه إليه، لذا كان مدعى الاهتمام بهذا الأسلوب في الخطاب القرآني، فهو من بين ما يحفظ لهذا الخطاب مكانته البلاغية وقيمته الأدائية، حيث يتعدد تلقيه، فيكون نصًّا مفتوحا منفتحاً غير محجّم لمجموعة التفسيرات التي تلاحقه، على خلاف ذلك النص المغلق الذي تُبسَط فيه يد المعنى الظاهر المكشوف، فيموت بنفاد تأوله وأحادية تلقيه.

لذا أختم بما قال به أساطين البيان العربي قديما وحديثاً، من أن **"بلاغة الصمت"** ـ ممثلة في كل مظاهر الحذف وأشكاله ـ ستظل الحقل البكر في الدراسات البلاغية والنقدية المرتبطة بلغة القرآن الكريم، دون سائر حقول البيان العربي الأخرى. وقد صدق تعالى بقوله:﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾**(المائدة:116)**.

مراجع البحث وإحالاته:

1ـ ينظر، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، تح، محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، 1966م، ص:91، وابن أبي الأصبع، بديع القرآن، تح، حفني شرف، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة،

ط1، 1957م، ص:197، وأبو عَلي الحَسَن ابن رَشِيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، سوريا، ط 5، 1981م، 1/ 251.

2ـ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004م، ص:146.

3ـ وهو المصطلح الذي يطلقه بعض النقاد المعاصرين على الحذف، ينظر، عبد الله البهلول، في بلاغة الخطاب الأدبي، بحث في سياسة القول، ط1، مطبعة التنفسير الفني، صفاقس، تونس، 2007م، ص:37.

4ـ ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، في أدب الكاتب والشاعر، تح، الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر بالفاجلة، مصر، 1959م، 2/ 265.

5ـ أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح، محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط4، 1991م.، ص: 76، وينظر، ص:79.

6ـ ابن رَشِيق، العمدة، ص:243.

7ـ الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص:76.

8ـ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت)، 3/ 102.

9ـ أبو البقاء أيوب الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998م، ص:870.

10ـ أبو عثمان الجاحظ، كتاب الحيوان، تح، عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1996م، 1/ 94.

11ـ ينظر: المصدر نفسه، 5/ 32.

12ـ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:164.

13ـ فخر الدين محمد الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، عارضه بأصوله، نصر الله حاجي، دار صادر، بيروت، ط1، 2004م، ص:212.

14ـ جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر. مجموعة من الأساتذة، دار سيناترا، تونس، ط2، 2010م، ص:27.

15ـ محمد أعلي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، دار صادر، بيروت، 1278 هـ، 1/ 315.

16ـ ينظر، ابن الأثير، المثل السائر، 2/ 265ـ 266.

17ـ جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص:541.

18ـ الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت.)، ص:197.

19ـ محمد مشبال، البلاغة والأصول، دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي، نموذج ابن جني، أفريقيا الشرق، 2007م، ص:147.

20ـ ينظر، ابن جني، الخصائص، تح، ، محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، 1952م، 2/ 262.

21ـ ينظر، أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، 1/ 166.

22ـ الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص:76.

23ـ أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح، محمد البجاوي، وأبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1986م، ص:174.

24ـ أبو البقاء أيوب الكفوي، الكليات، ص:384.

25ـ ابن الأثير، المثل السائر، 2/ 279. وابن الأثير هنا يردد قول الجرجاني في باب الحذف في دلائل الإعجاز، على أنه "هو بابٌ دقيقُ المسلك لطيفُ المأخذ عجيبُ الأمر شبيه بالسِّحر فإنَّك ترىٰ به ترك الذِكْر أفصحَ من الذكر والصمت عن الإفادة أزيدَ للإفادة وتجدُك أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطِقْ وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِن" ص:146.

26ـ كمال الدين عبد الواحد الزملكاني، التبيان في علم البيان، المطلع على إعجاز القرآن، تح، أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، (د.ت)، ص:112.

27ـ أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص:173.

28ـ ينظر، أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2000م، ص:265، وأبو البقاء الكفوي، الكليات، ص:384ـ385.

29ـ ينظر، أحمد بن طباطبا، عيار الشعر، تح، زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط 3، 1984م، ص:55.

30ـ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 3/ 105.

31ـ الزملكاني، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تح، خديجة الحديثي، أحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1974م، ص:237.

32ـ مجيد عبد الحميد ناجي، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984م، ص:129.

33ـ أبو سليمان حمد الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح، محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلال، دار المعارف، مصر، ط4، 1991م، ص:52.

34ـ ينظر، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 153، والرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص:77.

35ـ أبو القاسم جار الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، درا المعرفة بيروت، 4/ 187.

36ـ عبد الله البهلول، في بلاغة الخطاب الأدبي، ص:48.

37ـ الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 197.

38ـ علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، دار المشرق، بيروت، ط1، 1992م، ص:354.

39ـ ينظر، في بلاغة الخطاب، عبد الله البهلول، ص:40.

40ـ بن أحمد عالم فايزة، الحجاج في اللسانيات التداولية، دراسة لنماذج من القرآن الكريم، مجلة الكلمة، السنة19، ربيع 2012، عدد:75، ص:61.

41ـ المرجع نفسه، ص:61.

42ـ ينظر، باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، تر. أحمد الودرني، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2009م، ص:11.

43ـ أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2005، ص:281.

44ـ ينظر، عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط، 1، دار الفارابي، بيروت، 2001م، ص:53.

45ـ باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص:15.

46 -ch. Perlman et Albrecht- tytekka (nouvelle rhétorique) vois Alain bousinât les textes argumentatif, P.7.

47ـ السكاكي، مفتاح العلوم، ص:265.

48ـ جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص:21.

49ـ الجاحظ، البيان والتبيين، 2/ 315.

50ـ محمد مشبال، البلاغة والأصول، ص:149.

51ـ ينظر، إبراهيم طه، الإيجاز في الموروث البلاغي والقرآن الكريم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2012م، ص:90.

52ـ أحمد طايعي، التواصل البلاغي، من المصرح به إلى المسكوت عنه، منشورات زاوية، الرباط، 2008م، ص:73.

* ـ يقدّم لنا الشريف الجرجاني حد الإقتضاء بقوله: "المقتضى هو عبارة عن جعل غير المنطوق منطوقاً لتصحيح المنطوق، مثاله: فتحرير رقبة، وهو مقتضٍ شرعاً لكونها مملوكه إذ لا عتق فيما لا يملكه ابن آدم فيزداد عليه ليكون

تقدير الكلام: فتحرير رقبة مملوكة. محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ص:226.

**ـ السياق هو ربط القول بغرض مقصود على القصد الأول. أبو محمد القاسم السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تح، علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط1، 1980م، ص:188.

53ـ ينظر، إبراهيم طه، الإيجاز في الموروث البلاغي والقرآن الكريم، ص:83.

54ـ جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص:21.

55ـ أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح، محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب، بيروت، ط2، 1986م، ص:294.

56ـ ينظر، عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص:400، ينظر:

O. Reboul, introduction à la rhétorique, op. cit, P.133.

57ـ ابن الأثير، المثل السائر، 2/ 260.

58ـ مجيد عبد الحميد ناجي، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص:134.

59ـ ابن الأثير، المثل السائر، 2/ 305.

60ـ ابن أبي الأصبع، بديع القرآن، ص:186.

61ـ أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص: 174 – 175.

62ـ ينظر، أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص:384.

63ـ أرسطو، الخطابة، تر. عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، 2008م، ص:07.

64ـ فان ديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر، عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، 2013م، ص:200.

65ـ ابن الأثير، المثل السائر، 2/ 279.

66ـ أبو البقاء أيوب الكفوي، الكليات، ص:136.

67ـ المصدر نفسه، ص:136.

68ـ ابن جني، الخصائص، 1/ 285.

69ـ ينظر، محمد السيد شيخون، من أسرار البلاغة في القرآن، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، (د.ت)، صص:40ـ41.

70ـ ينظر، أرسطو، الخطابة، ص:156.

71ـ بن أحمد عالم فايزة، الحجاج في اللسانيات التداولية، ص:47.

72ـ ينظر، عبد الحكيم راضي، نظرية اللغة في النقد العربي، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م، صص:409ـ410.

73ـ ينظر، عبد الله البهلول، في بلاغة الخطاب الأدبي، ص:45.

74ـ جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص:26.

75ـ ينظر، مصطفى شاهر خلوف، أسلوب الحذف في القرآن الكريم، وأثره في المعاني والإعجاز، دار الفكر، عمان، ط1، 2009م، ص:78.

76ـ أبو محمد القاسم السجلماسي، المنزع البديع، ص:190.

77ـ ينظر، مصطفى شاهر خلوف، أسلوب الحذف في القرآن الكريم، ص:159.

78ـ ينظر، الزمخشري، الكشاف، 1/ 326.

79ـ مصطفى شاهر خلوف، أسلوب الحذف في القرآن الكريم، ص:175.

80ـ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:171.

81ـ ابن جني، الخصائص، 1/ 193.

82ـ أحمد طايعي، التواصل البلاغي، ص:36.

83ـ باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص:21.

84ـ عبد الله البهلول، في بلاغة الخطاب الأدبي، ص:32.

85ـ إبراهيم طه، الإيجاز في الموروث البلاغي والقرآن الكريم، ص:83.

86ـ بن أحمد عالم فايزة، الحجاج في اللسانيات التداولية، ص:58.

87ـ ابن الأثير، المثل السائر، 2/ 280.

88ـ ينظر، ابن الأثير، المثل السائر، 2/ 319.

89ـ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص:399.

* ـ الموجه المقالي: هو العناصر اللغوية الموجودة في جملة الشرط تدل على المحذوف لا محالة دلالة مطلقة بصرف النظر عن وجود متلق أو عدم وجوده، لكنها في حالة التفاعل الكلامي (L'interaction conversationnelle) بين الجملة ومتلقيها توجه ذهن المتلقي إلى تصور بعينه. ينظر، عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، هامش، ص:400

90ـ ينظر، أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص: 100.

91ـ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص:400.

92ـ ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 3/ 185.

93ـ ينظر، أبو البركات الأنباري، الإنصاف، 2/ 632. نقلاً: عن عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص: 401.

94ـ ينظر، ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، عالم الكتب، بيروت، ص:36، وعبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص:402.

95ـ ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 3/ 186.

96. ينظر، عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص:402.

97. ينظر، ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص:87.

98. عبد الله البهلول، في بلاغة الخطاب الأدبي، ص:45.

99. ينظر، كاترين كيربرات وأوريكيوني، المضمر، تر. ريتا خاطر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2008م، ص: 4.

100. الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص:76.

101. ابن الأثير، المثل السائر، 2/ 219.

102. ينظر، مجيد عبد الحميد ناجي، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص: 132.

103. السجلماسي، المنزع البديع، ص:190.

104. ينظر، أبو البقاء أيوب الكفوي، الكليات، ص:57، و التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، 1/ 312.

105. السجلماسي، المنزع البديع، ص: 195.

106. ينظر، الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 14.

107. وقد أورده الزركشي كما يلي "وهو الثاني ـ إلى قوله "عليكم إجرامكم" وهو الثالث ـ كنسبة قوله: "وأنتم برآء منه مكرراً ووجب حذفه وتصحيحه كما أوردنا، البرهان في علوم القرآن، 3/ 129، ينظر، السجلماسي، المنزع البديع، ص:196.

108. باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص:6-7.

109. ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2006م، ص:21.

110. محمد خطابي، لسانيات النص، ص:22.

111. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص:417.

112. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 3/ 129.

113. ابن جني، الخصائص، 1/ 291.

114. ينظر، أبو البقاء أيوب الكفوي، الكليات، صص: 385ـ386. التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، 1/ 312.

115. ينظر، السجلماسي، المنزع البديع، ص: 190.

116. ينظر، مصطفى شاهر خلوف، أسلوب الحذف في القرآن الكريم، ص:188.

117. ابن الأثير، المثل السائر، 2/ 277.

118. ينظر، أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص: 123.